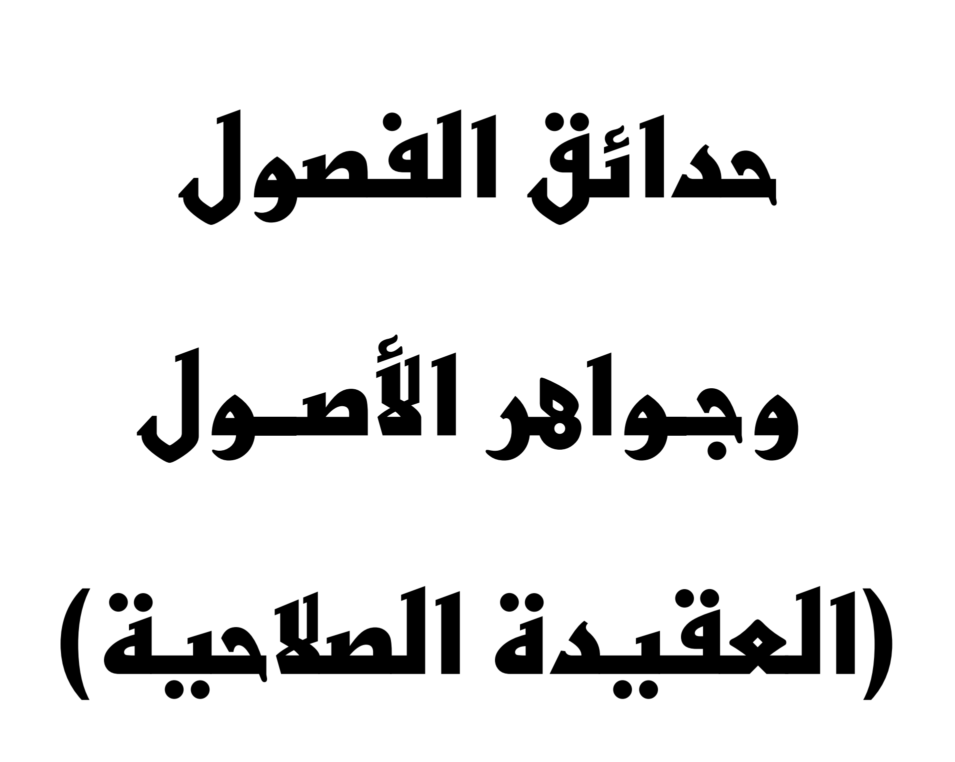


حدائق الفصول وجواهر الأصول (العقيدة الصلاحية)

تأليف

الإمام العلامة الشيخ

تاج الدين محمد بن مكي الحموي

إصدار

واحة آل البيت لإحياء التراث والعلوم - فلسطين

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة موجزة للعلامة تاج الدين محمد بن مكي الحموي

اسمه:

هو الشيخ العلامة الفقهية المتكلم تاج الدين محمد بن هبة الله بن مكي الحموي المولد، المصري الدار والوفاة، الشافعي الخطيب.

مولده:

ولد رحمه الله عام ٥٤٦ هجري الموافق ١١٥١ رومي بحماة.

صفاته:

قال تاج الدين السبكي في طبقات الشافعية: "كان فقيهاً فرضياً نحوياً متكلماً أشعري العقيدة إماماً من أئمة المسلمين، إليه مرجع أهل الديار المصرية في فتاويهم، وكان حسن الخط جيد الانتقاد، رأيت كتاب (البيان) للعمراني بخطه وحواشيه أيضا بخطه في مواضع كثيرة ينبه عليها تدل على وفور علمه وكثرة اطلاعه، وكان يأخذ الكتاب بالثمن اليسير فلا يزال يخدمه حتى يصير من الأمهات، انتهى ما وجدته ونقلته من خط الشيخ كمال الدين بن القليوبي".

دراسته:

تفقه رحمه الله على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه، وقد نقل السبكي في طبقاته أنه سمع الشيخ الحافظ زكي الدين عبد العظيم يقول: "دخلت عليه يوماً - أي الشيخ تاج الدين بن مكي- وهو في سرب تحت الأرض لأجل شدة الحر وهو يشتغل، قال: فقلت له: في هذا المكان وعلى هذا الحال. فقال: إذا لم أشتغل بالعلم فماذا أصنع".

شيوخه:

تلقى رحمه الله عن العديد من المشايخ نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر :

١- الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد الأصبهاني.

٢- العلامة أبو محمد عبد الله بن بَرّي النحوي.

مؤلفاته:

لم نقف للشيخ رحمه الله إلا على بعض المؤلفات وهي:

١- حدائق الفصول وجواهر الأصول.

٢- روضة المرتاض ونزهة الفُاض، وهي أرجوزة في الفرائض.

٣- ٥٠ ديواناً خطباً.

وفاته:

توفي رحمه الله في ١٦ جمادى الآخرة عام ٥٥٩ هجري الموافق ٢ مارس ١٢٠٣ رومي بمصر.

ترجمة موجزة للسلطان المجاهد الناصر صلاح الدين الأيوبي

اسمه:

هو العالم الورع والفارس المجاهد السلطان الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادي بن مروان، أبو المظفر الأيوبي.

مولده:

ولد عام ٥٣٢ هجري الموافق ١١٣٧ رومي في قلعة "تكريت"، وهي مدينة تقع على ضفاف دجلة جنوبي بغداد في العراق.

نشأته وحياته:

كان أبوه والياً على المدينة ثم انتقل معه إلى الموصل واستقر فيها برعاية عماد الدين زنكي، وكان رحمه الله طاهر القلب عفيف اللسان، يردُّ الحقوق إلى أهلها ويمنع الرشوة ويعاقب عليها، لا يُحابي في الحق أحداً، وكان رحمه الله سياسياً بارعاً وقائداً فذاً وفارساً مقداماً عمّ ذكره في الآفاق شرقاً وغرباً.

انتقل والده نجم الدين أيوب مع أهله إلى بعلبك بعد أن عيَّنه عماد الدين والياً عليها، ولكن لم يطل مقامهم في بعلبك حيث انتقلوا للعيش في دمشق، وقد تولَّى صلاح الدين رئاسة شرطة دمشق في عهد نور الدين، وبعد وفاة الأتابك نور الدين بن عماد الدين زنكي عام ٥٦٩ هجري استقلَّ صلاح الدين بحكم مصر والشام وغيرها، ثم شمَّر عن ساعده لتوحيد البلاد الإسلامية وجهز الجيوش لقتال الإفرنج وانتزاع ما بقي من أراضي الشام، كما جهز جيشاً لاسترداد اليمن وبعثه إليها وعلى رأسه أخوه توران شاه بن أيوب، وبعث حملة إلى غربي مصر بقيادة "قراقوش" فاستولى على برقة وطرابلس الغرب وتونس، وهكذا تم توحيد البلاد الإسلامية في جبهة واحدة تمتد من برقة وتونس غرباً إلى الفرات شرقاً، ومن الموصل وحلب شمالاً إلى النوبة واليمن جنوباً، وبقي لدى صلاح الدين همٌّ كبير وهو تحرير الأقصى من العدو الجاثم في فلسطين.

النصر الكبير في حطين:

تقع قرية حطين غربي "طبرية"، وهي غنية بالمياه وفيرة المرعى في جزء منها، وقد دارت المعركة في المنطقة الممتدة بين "طبرية" شرقاً و"صفورية" غرباً، وهذا الجزء جاف وعرٌ قليل المياه إلا من الآبار والينابيع المحلية النادرة، ومع أن استعادة بيت المقدس وتخليص الأقصى من يد الإفرنج كان الهدف الذي يسعى إليه السلطان المجاهد بعد أن وحَّد الجبهة الإسلامية وأمَّن الحدود، غير أنه لم يشأ أن يكون هو البادئ بالحرب لحنكةٍ هو أرادها فانتظر حتى بدأ "أرناط" صاحب الكرك المشهور بالخيانة والغدر، فكانت القشة التي قصمت ظهر البعير والشرارة التي أشعلت نيران الحرب، وذلك أن "أرناط" اعتدى على قافلة كانت تمر بالكرك في طريقها من مصر إلى الشام، فنهبها وأسر وقتل من فيها، وقال للأسرى وهو يعذبهم: "فليأت محمدكم ليخلصكم"، فغضب صلاح الدين ونذر لئن مكَّنه الله منه ليقتلنه بيده، ودعا صلاح الدين إلى النفير والتعبئة الشاملة للجهاد، وبعد أن كملت الاستعدادات وجاءت الجيوش الإسلامية متطوعة من شتى الممالك الإسلامية، غادر صلاح الدين دمشق إلى بصرى وبدأ بمهاجمة "الكرك" ثم استولى على "طبرية"، وعنَّف صلاح الدين

"أرناط" على فعلته الشنيعة مع قافلة المسلمين واستهزائه بمقام النبوة وعرض عليه الإسلام فأبى، فاستل صلاح الدين سيفه وقال له: "ها أنا أنتصر لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم" فضربه تنفيذًا لوعده وبرًّا بقسمه، وإثر ذلك انهارت الدولة المسماة "أورشليم"، وتمكن صلاح الدين من استرجاع جميع مدنها وقلاعها.

حبه للعلم الديني وتقواه:

يقول السبكي في (طبقات الشافعية) عن السلطان صلاح الدين: "إنه سمع الحديث من الحافظ أبي طاهر السلفي وأبي طاهر بن عوف والشيخ قطب الدين النيسابوري وعبد الله برّي النحوي وجماعة غيرهم".

وقد سلك صلاح الدين مسلك السلف الصالح في المحافظة على الدين والتمسك بالعقيدة الصافية النقية عقيدة أهل الحق، فقد أمر رضي الله عنه بتدريس العقيدة الإسلامية والتي فيها تنزيه الله عن المكان والحيز واللون وسواها من صفات المخلوقين في الكتاتيب والمدارس، وقد ألّف العلامة محمد بن هبة الله المكي رسالة في العقيدة سماها "حدائق الفصول وجواهر الأصول" في علم الكلام على أصول أبي الحسن الأشعري رحمه الله، أهداها إلى السلطان صلاح الدين الذي أمر بتعليمها في المدارس للصبية الصغار فعُرفت بالعقيدة الصلاحية ومما يقوله فيها:

وصانعُ العالَمِ لا يَحويهِ	قُطْرٌ تعالى اللهُ عن تَشبيهِ
قَد كانَ مَوجودًا ولا مكانا	وحُكمُهُ الآنَ على مَا كانَا
سُبحانَهُ جَلَّ عَنِ المكانِ	وعَزَّ عَنْ تغيُّرِ الزَّمانِ
فقَدْ غلا وزادَ في الغُلُوّ	مَنْ خصَّه بجهةِ العُلُوّ

ويقول عنه معاصروه: "كان خاشع القلب غزير الدمعة، إذا سمع القرآن خشع قلبه ودمعت عيناه، وكان كثير التعظيم لشعائر الإسلام".

مآثره:

من مآثره الحميدة رحمه الله أنه أبطل المكس (الضريبة) المأخوذ من الحجاج في البحر على طريق عِيْذاب في أيام مُكثّر بن عيسى وهو آخر أمراء مكة المعروفين بالهواشم، وكان سبب إبطاله أن الشيخ علوان الأسدي الحلبي حجَّ فلما وصل إلى جدة طولب بالمكس فأبى أن يسلم لهم شيئاً وأراد الرجوع، فلاطفه الجند وبعثوا إلى صاحب مكة الشريف مُكثّر بن عيسى، فأمر بإطلاقه ومسامحته، فلما طلع إلى مكة اجتمع به واعتذر إليه بأن مدخول مكة لا يفي بمصالحها، وأن هذا هو الحامل لنا على جمع المكس، فكتب الشيخ علوان إلى صلاح الدين وذكر له حاجة أمير مكة، وعرَّفه أن البلد ضعيفة وأن ما تُدخله من أموال لا يكفيها، وأن ذلك هو الذي حمل أميرها على هذه البدعة الشنيعة، فأنعم عليه صلاح الدين بثمانية آلاف إردب قمح وقيل بألفي دينار وألفي إردب قمح وأمره بترك هذه المظلمة.

ذكر طرف من مناقبه وشجاعته:

كان صلاح الدين رضي الله عنه ديِّناً ورعاً زاهدًا كثير العبادة يحافظ على الصلوات الخمس في أوقاتها جماعة في المسجد، حتى في أيام مرضه كان يتجلد ويحضرها كما ذكره ابن شداد، وكان مع ذلك مواظباً على السنن والرواتب وقيام الليل، وكان إذا أدركته الصلاة وهو سائر نزل وصلى، وهو مع ذلك رحمه كان ينتقي إمامه ويتخيره عالمًا بالقرآن متقناً ضابطاً لحفظه، وكان رحمه الله خاشع القلب غزير الدمعة رفيقاً حليماً شفوقاً ناصحاً محباً للعلم وطلبه، شديد الرغبة في سماع الحديث، فكان إذا سمع بشيخ محدِّثٍ ذي رواية عالية وكان ممن يحضر مجالس السلاطين استدعاه وأخذ عنه فسمع وأسمع أولاده ومماليكه، وإن كان هذا الشيخ ممن لا يقصدون أبواب السلاطين سار إليه بنفسه فسمع منه وقرأ وأخذ عنه، وكان رضي الله عنه عادلاً رؤوفاً رحيماً ناصراً للضعيف المظلوم، وقد حدث ابن شداد مرة فقال: "لقد رأيته وقد استغاث به إنسان من أهل دمشق يقال له ابن زهير على تقي الدين ابن أخيه فأنفذ إليه ليحضر مجلس الحكم وكان تقي الدين هذا مقرباً إليه محبوباً لديه عظيماً في عينه ولكنه لم يحابه في مثل هذا الأمر بل استدعاه حرصاً على إقامة العدل".

أما الشجاعة والصبر فقد بلغ السلطان في ذلك شأواً كبيراً، فكان رحمه الله من عظماء الشجعان، قوي النفس شديد البأس عظيم الثبات، لا يهوله أمر العدو، ومن أشهر أعماله الحربية وأعظمها تحرير بيت المقدس وفتح القدس، حيث نزل عليها في ١٥ رجب ٥٨٣ هجري، وتسلمها يوم الجمعة ٢٧ رجب لمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج وأقيمت الجمعة، فعلت الأصوات بالتكبير والتهليل، وكان فتحاً وتحريراً عظيماً مهيباً.

من وصاياه:

وقد ورد أنه أوصى أحد أولاده قائلاً: "أوصيك بتقوى الله، فهي رأس كل خير، وآمرك بما أمر الله به، فإنه سبب نجاتك، واحذر من الدماء والدخول فيها والتقلد بها، فإن الدم لا ينام، وأوصيك بحفظ قلوب الرعية والنظر في أحوالها، ولا تحقد على أحد فإن الموت لا يُبقي على أحد".

وكان رحمه الله إذا سمع أن العدو دهم بلاد المسلمين خرَّ إلى الأرض ساجداً داعياً إلى الله بهذا الدعاء: "إلهي قد انقطعت أسبابي الأرضية في نصرة دينك ولم يبق إلا الإخلاد إليك والاعتصام بحبلك والاعتماد على فضلك أنت حسبي ونعم الوكيل".

قال القاضي ابن شداد: "رأيته ساجدًا والدموع تتقاطر على لحيته ثم على سجادته ولا أسمع ما يقول، ولم ينقضِ ذلك اليوم إلا وتأتيه أخبار الانتصار على الأعداء".

وكان يتخير وقت صلاة الجمعة للهجوم على أعدائه تبركاً بدعاء الخطباء له بالنصر على المنابر.

آثاره:

بنى رحمه الله المساجد والمدارس وعمَّر قلعة الجبل في القاهرة وسوَّرها، وبنى قبة الإمام الشافعي، وكان رحمه الله شافعيَّ المذهب، أشعريَّ الاعتقاد.

وفاته:

لحقه رحمه الله ليلة السبت ١٦ صفر ٥٨٩ هجرية تعب عظيم وغشيته نصف الليل حُمى شديدة وأخذ المرض في التزايد فقصده الأطباء واجتمعوا لديه ينظرون أمره والحمى تثقل عليه حتى أخذته رعشة وأغمي عليه واشتد الخطب في البلد فعمَّ الحزن وكثر البكاء ولحقه في اليوم العاشر من مرضه عرق شديد حتى نفذ من الفراش، واشتد مرضه ليلة الثاني عشر من مرضه فحضر عنده الشيخ أبو جعفر إمام الكلاسة ليبيت عنده في القلعة يذكره الشهادتين عند الاحتضار، فكان أن توفي السلطان من تلك الليلة في السابع والعشرين من صفر وأخرج بعد صلاة الظهر من يوم الأربعاء في تابوت مسجى وصلى عليه الناس ثم دفن في قلعة دمشق في الدار التي كان يقيم بها وأنزل إلى لحده وقت العصر بعد الصلاة من اليوم المذكور، وخلَّف رحمه الله سبعة عشر ذكراً وبنتاً واحدة، ولم يوجد في خزانته الخاصة سوى دينار وأربعين درهماً، وقد أقام رحمه الله في السلطنة أربعاً وعشرين عاماً توفي بعدها وعمره سبعٌ وخمسون سنة، وله مقام ظاهر يزوره المسلمون تبركاً بسيرته العطرة ونهجه السوي، رحمه الله رحمة واسعة وجزاه بأحسن ما يجازي به أوليائه الصالحين.

إعداد:

واحة آل البيت لإحياء التراث والعلوم - فلسطين

٢١ رجب ١٤٢٨هجري الموافق ٤ أغسطس ٢٠٠٧ رومي

حدائق الفصول وجواهر الأصول المعروفة بالعقيدة الصلاحية

للإمام تاج الدين محمد بن مكي الحموي

أفتَتحُ المقالَ بسمِ اللهِ ... وأكِلُ الأمرَ إلى الإلَهِ

وأحمدُ اللهَ الذي قَدْ ألهَما ... بفضلهِ دينًا حَنيفًا قَيّما

حَمدًا يكونُ مُبلغِي رِضوانَهْ ... فهْوَ إلهي خَالقي سُبحانَهْ

ثُمَّ أصلّي بعدَ حَمدِ الصَّمَدِ ... على النبيّ المصطفى محمَّدِ

وأسألُ اللهَ إلهَ الخَلْقِ ... هدايةً إلى سَبيلِ الحقّ

فهذِهِ قواعِدُ العقائِدِ ... ذكرْتُ منها مُعظَمَ المقاصِدِ

نظمْتُها شِعرًا يخِفُّ حِفظُهُ ... وفَهمُهُ ولا يشِذُّ لفظُهُ

حَكيتُ فيها أعدلَ المذاهبِ ... لأنَّه أنهَى مُرادَ الطالبِ

جَمعتُها للمِلكِ الأمينِ ... النَّاصرِ الغازي صَلاحِ الدّينِ

عزيزِ مصرِ قيصرِ الشَّامِ ومَنْ ... ملَّكَهُ اللهُ الحِجازَ واليمنْ

ذي العَدلِ والجُودِ معًا والباسِ ... يوسفَ مُحيي دولةِ العباسِ

ابنِ الأجَلّ السيدِ الكبيرِ ... أيوبَ نَجمِ الدينِ ذي التَّدبيرِ

لا زالتِ الأيامُ طَوْعَ أمرِهِ ... والسَّعْدُ يَسعى معَ جيوشِ نصَرِهِ

حتى ينالَ منتهى ءامالِهِ ... مؤيَّدًا ممتَّعًا بآلِهِ

لما استفاضَ في الأنامِ مَيلُهُ ... إلى اعتقادِ الحقّ وهْوَ أهلُهُ

حَكيـــــتُ فيـــــهِ أعـــدَلَ المـــذاهبِ إذْ كـــانَ أنهَـــى مُنتهَـــى المطالـــبِ

مَخَّضــتُ كُتْــبَ النــاسِ واســتخرجْتُها لا فَضـــلَ إلا أنـــني ابتكرتُهـــا

لقَّبتُهــــا حــــدائقَ الفصــــولِ ثمارُهــــا جــــواهِرُ الأصــــولِ

وهـــا أنـــا أبـــدأُ بالحَـــدّ كمَـــا بـــدا بـــهِ في القَـــولِ مَـــن تقـــدَّمَا

لأنَّ مَـــن لم يعـــرِفِ الحُـــدودا أضــاعَ ممــا يَطلُــبُ المقصُــودا

فــإنْ رأيْــتَ حُمــرةً في خَطّــي مُثبتَـــةً فهْـــيَ للفـــظِ شَـــرْطِ

أو لفْـظِ حـدّ فـانْفِ مَـا عـداهُ وحَـــرّرِ اللفـــظَ بحـــدّ أداهُ

أو نُكتـــةٍ تصـــلُحُ أن تُميَّـــزا وأنَّ مـــا فعلتُـــه تَحـــرُّزا

أو رســمِ فصــلٌ فــاعرِف الإشــارةْ إذا أتَـــتْ كَـــي تُحسِـــن العِبـــارةْ

فإنَّمـــا أوردتُـــهُ اضـــطِرارَا وقـــدْ ذَكـــرتُ ذلـــكَ اســـتظهارَا

فصلٌ

قـــالَ شُـــيوخُ هـــذه الطريقـــةْ لا فـــرْقَ بـــينَ الحَـــدّ والحَقيقـــةْ

وذكـــروا معناهُمـــا مِـــنْ بعـــدُ مُســـتوعبًا في كُـــلّ مَـــا يُحَـــدُّ

وهَـــا أنـــا أنقلُـــهُ وأوجِـــزُهْ خَصيصَـــةُ الشـــيءِ الـــتي تُميّـــزُهْ

وهكـــذا إنْ قيـــلَ مـــا الشـــيءُ وَمـــا مَائيَّـــةُ الشـــيءِ ومَـــا معناهُمـــا

والشـــيءُ مِمَّـــا يســـتطيعُ حَـــدَّهُ عـــلا علـــى الأشـــياءِ رَبـــي وحـــدَهُ

فكلُّهـــا أســـئلةٌ معـــدَّدَةْ لفظًـــا وفي مَقصـــودِهَا مُتَّحـــدَهْ

فصلٌ

واعلـــمْ بـــأنَّ الحَـــدَّ وصْـــفٌ راجـــعُ حقًّـــا إلى المحـــدودِ وهْـــوُ قَـــاطِعُ
دونَ كـــلامِ الحَـــدّ فـــاعرِف لَفظـــي وواظِـــبِ التَّكـــرارَ بعـــدَ الحِفـــظِ
وانفـــردَ القاضـــي لِســـانُ الأمَّـــهْ بمـــذهبٍ عـــن مُعظـــمِ الأئمّـــهْ
فقـــالَ إنَّ الحَـــدَّ وصْـــفٌ راجـــعُ إلى كَـــلامِ الحَـــدّ وهْـــوَ شَاسِـــعُ

فصلٌ

وأبلَـــغُ الألفـــاظِ في التحديـــدِ مـــا قـــالَ أهـــلُ العلـــمِ بالتَّوحيـــدِ
وذاكَ مُختـــارُ الإمـــامِ الأوحَـــدِ أبـــي المعـــالي بـــنِ أبـــي مُحمَّـــدِ
الحَـــدُّ لفـــظٌ يَجمـــعُ المحـــدُودا ويَمنـــعُ النُّقصـــانَ والمزيـــدا
وقَـــال مَـــنْ قـــدْ أحكَـــمَ الأصُـــولا أرى الـــذي ذكرتَـــهُ مَـــدخولا
وأوضَـــحَ الـــدَّخْلَ وأبـــدى قولَـــهُ اللفـــظُ لا جَمْـــعَ ولا مَنـــعَ لَـــهُ
واعلـــمْ بـــأنَّ الـــدخْلَ غـــيرُ مَاضـــي إلاَّ علـــى مـــا يرتضـــيهِ القاضـــي
وقيـــل فيمـــا قـــدْ حكـــاهُ الأوَّلُ الجَـــامعُ المـــانعُ وهْـــوَ مُجمَـــلُ
وقـــد سمعـــتُ فيـــهِ لفظًـــا رائقـــا مُطَّـــرِدا منعكسًـــا مُوافقـــا
حـــرَّرَهُ فُحُـــولُ أهـــلِ المنطـــقِ وســـلكوا فيـــهِ أسَـــدَّ الطُّـــرُقِ
وهْـــوَ كمـــا أذكـــرُ فافْهمْـــهُ كمـــا فهِمتُـــهُ تجـــدْهُ حَـــدّا مُحكمَـــا
قَـــوْلٌ وجيـــزٌ زِدهُ في صِـــفاتهِ دلَّ علـــى مَحـــدودِهِ مـــن ذاتِـــهِ

واشـــترطُوا للحَـــدّ شَـــرطينِ هُمـــا　　جِـــنسٌ وفصـــلٌ لا غنَـــاءَ عنهُمـــا

والرَّســـمُ غـــيرُ الحَـــدّ فيمـــا ذَكـــروا　　قَـــد أطنَبـــوا في وَصـــفهِ وأكثـــروا

فالشـــيء لا يُحـــدُّ لكـــن يُرسَـــمُ　　لعَـــدَمِ الفصـــلُ كَـــذا قـــدْ رسمُـــوا

فصلٌ

في أول ما يجبُ على المكلَّفِ

أوَّلُ واجـــبٍ علـــى المكلَّـــفِ　　البـــالغِ العاقـــلِ فَـــافهَمْ تكتَـــفِ

بالشَّـــرعِ لا بالعقـــلِ إذ لا حُكـــمَ لـــهْ　　خَالفَنـــا في ذلـــكَ المعتزلـــهْ

مَعرفـــةُ اللهِ وقُـــدسِ ذاتِـــهِ　　وكُـــلّ مـــا يَجـــوزُ مـــنْ صـــفاتِهِ

وقيـــلَ بـــلْ أوَّلُ فَـــرضٍ لزِمَـــا　　النَّظَـــرُ المفضـــي إلى العلـــمِ بمـــا

قدَّمتُـــهُ وإنمـــا ضـــمَّنتُهُ　　ليحصـــلَ المقصـــودُ ممَّـــا رمتُـــهُ

وقيـــلَ بـــل أوَّلُ جُـــزءِ النَّظَـــرِ　　واختـــارَهُ القاضـــي الجليـــلُ الأشـــعري

وذكَـــرَ الأســـتاذُ قـــولا رابَعـــا　　أعـــني أبـــا بكـــرِ الإمـــامَ البَارِعـــا

فقـــالَ قصـــدُ النَّظـــرِ المفضـــي إلى　　معرفـــةِ الصـــانعِ بارينَـــا عَـــلا

فصلٌ

في ماهية العقل

العقـــلُ لا يَقـــدِرُ أنْ يَحُـــدَّهْ　　إلا إلـــهُ العـــالمينَ وحـــدَهْ

لأنَّـــه خَصيصَـــةٌ أودَعهَـــا　　في الآدمـــيّ جَـــلَّ مَـــن أبـــدعهَا

وكُـــلُّ ذي رُوحٍ لـــهُ إلهـــامُ　　تَعجِـــزُ عَـــن إدراكِـــهِ الأفهـــامُ

كالنَّحلِ خُصَّ ببديعِ الهندَسَةْ ... حَتى بَنى بيُوتَهُ مُسَدسَةْ

وهكذا خصائصُ الأحجارِ ... مِنْ حِكمةِ المهيمنِ الجبَّارِ

وقدْ أطالَ البحثَ عنهُ السلفُ ... وزادَ في الغَوصِ عليهِ الخلَفُ

واضطربت عبارةُ الأوائلِ ... في حَدّهِ ومَا أتوا بطائلِ

وهُم أولو العُلومِ بالطَّبائعِ ... لا عِلمَ إلا للبَديعِ الصَّانعِ

وأكثَروا التَّحديدَ والتَخليطا ... حتَّى دعوْهُ جوهرًا بسيطا

وبعضُهُم أقرَّهُ في الرَّاسِ ... وخصَّهُ بالقلبِ بعضُ الناسِ

فأقربُ الحدودِ في المعقولِ ... ما قالَهُ أئمةُ الأصولِ

وقد حكاهُ صاحبُ الإرشادِ ... فيهِ وقدْ عُدَّ منَ الأفرادِ

بعضُ العلومِ ثُم زادَ وصَفا ... وهُو الضَّروريةُ ليسَ يخفى

هذا هو المختارُ فيما ذَكروا ... وهْوَ على التَّحقيقِ حَدٌّ مُنكَرُ

فإنْ يكُن بعضُ العلومِ مطلقَا ... لا يعرفونَ عينَه مُحقَّقَا

فَهم بهِ من جُملةِ الجُهَّالِ ... وما حَكَوْهُ ظاهرُ الإجمالِ

وإنْ يكُن عندَهُم مُعيَّنَا ... هلاَّ أتَى في لَفظهم مُبيَّنَا

فإنَّ أنواعَ العُلومِ سِتَّةْ ... ليس لها نوعٌ سِواها بتَّةْ

تُدرَكُ بالرؤيةِ والسَّمْعِ وما ... أذكرُهُ من بعدُ حتَّى تفهَما

الشمُّ واللمسُ معًا والذوقُ ... فهذِهِ الخمْسُ إليها التَّوْقُ

ومُـــدرِكُ الســـادسِ مـــن أنواعهـــا الـــنَّفسُ إذ ذلـــكَ مـــن طِباعهَـــا

كعلـــمِ كُـــلّ عاقـــلٍ بصـــحَّتِهْ وسُـــقمِهِ وعَجـــزِهِ وقُدرتِـــهْ

والفـــرَحِ الحـــادثِ والآلامِ ثـــمَّ العَمَـــى والقصـــدِ بـــالكلامِ

والقَطـــعِ في الأخبـــارِ بالتَّصـــديقِ أو ضِـــدّهِ فيهـــا علـــى تحقيـــقِ

وأنَّ مـــا قـــامَ بـــهِ السُّـــكونُ إذ كـــانَ في التحريـــكِ لا يكـــونُ

ومـــا أحـــالَ العقـــلُ في الأضـــدادِ كـــالجمعِ للبيـــاضِ والسَّـــوادِ

ومـــا تـــواترتْ بـــهِ الأخبـــارُ فـــاسمعْ فهـــذا قالَـــهُ الأحبـــارُ

كـــالعلمِ بـــالملوكِ والأمصـــارِ ومـــا جـــرى في غـــابرِ الأعصـــارِ

ومعجـــزاتِ الأنبيـــا كمُوســـى والمصـــطفى محمَّـــدٍ وعيســـى

فخَصّـــصِ العقـــلَ بنـــوعٍ منهـــا تجـــدهُ عنـــدَ السَّـــبْرِ ينـــأى عنهـــا

واعلـــمْ هُـــديتَ إنمـــا تجـــوَّزوا كـــي لا يُقـــالَ إنَّهُـــم قـــد عجـــزوا

وهُـــم أولـــو القـــرائحِ الوَقَّـــادَة والعلـــمِ والسُّـــؤدَدِ والسّـــيادَة

فصلٌ
في حقيقة العلم

العِلـــمُ بَحـــرٌ حَـــدُّهُ لا يُعـــرفُ قَـــد قالَـــه أهـــلُ الحِجـــى وأنصـــفوا

مـــع أنَّ كُـــلا غـــاصَ فيـــهِ جُهـــدَهُ ولم ينَـــل بعـــدَ العنـــاءِ قصـــدَهُ

وهُـــم ذَوو الفضـــائِلِ المشـــتهرَة العلمـــاءُ الأذكيـــاءُ المهـــرَة

وَهَــا أنــا أذكُــرُ مــا قــالوهُ ... ومَــا مــنَ المــأثورِ أوردوُهُ
معرفَــةُ المعلــومِ قــالَ الأوحَــدُ ... أبــو المعــالي إنَّــهُ مُطَّــرِدُ
حَكــاهُ في التلخــيصِ للتقريــبِ ... وقــدْ أتــى النقــلُ علــى التَّرتيــبِ
مــعَ أنَّــه الحَــبرُ حكَــى في كُتْبِــهِ ... زيــادةً وهْــي عَلــى مــا هُــوْ بــهِ
واختــارَ هــذا أكثــرُ الأصــحابِ ... العَــارفونَ سُــبُلَ الصــوابِ
وهْــوَ كــلامٌ ظــاهرُ الفسَــادِ ... يَعرفُــهُ ذو العلــمِ والسَّــدادِ
لأنَّهُــم قَــد جعلــوا المعــدومَا ... مــن غــيرِ خُلْــفٍ بيــنَهم معلومًــا
ومالَــهُ مائيَّــةٌ فتُحصَــرا ... ومَــن أتــى بجَهــدِهِ مَــا قصَّــرَا
وقــدْ أتــوا فيــهِ بلفــظِ المعرِفَــةْ ... وهــيَ والعلــمُ سَــواءٌ في الصّــفَةْ
وإنْ تَقُــلْ مــا يُعلَــمُ المعلــومُ بــهِ ... كنــتَ أسَــدَّ قائِــلٍ في مذهبِــهِ
وقــد أطــالَ النــاسُ في تَحديــدِهِ ... قِــدمًا ولم يــأتوا علــى مقصــودِهِ
وبعضُــهُم يــنقُصُ حَــدَّ بعــضِ ... حتَّــى تســاوَتْ كلُّهَــا في الــنَّقضِ
وكــلُّ مــا قــالوهُ إقنــاعيُّ ... في معــرضِ التحديــدِ لا قَطعــيُّ
وكــلُّ لفــظٍ عــنهُم منقــولِ ... يقصــرُ عَــن مــدارِكِ العُقــولِ

فصلٌ

في حدِّ الجهل

وإنْ أردْتَ أن تَحُــدَّ الجَهــلا ... مِــن بَعــدِ حــدّ العلــمِ كــان ســهْلا

وهْــو انتفـــاءُ العلـــمِ بالمقصـــودِ فـــاحفظْ فهـــذا أوجَـــزُ الحُـــدودِ
وقيـــل في تحديـــدهِ مـــا أذكُـــرُ مـــنْ بعـــدِ هـــذا والحُـــدودُ تكثُـــرُ
تصَـــوُّرُ المعلـــومِ هَـــذا حرفُـــهُ وحَرفُـــهُ الآخَـــرُ يـــأتي وصـــفُهُ
مُســـتوعَبًا علـــى خِـــلافِ هَيئتِـــهْ فَـــافهَمْ فَهـــذا اللفـــظُ مِـــن تَتِمَّتِـــهْ

فصلٌ

في حقيقة الشكِّ والظنِّ

أوجـــزُ لفـــظ قـــد أتـــى في حَـــدّه تَجـــويزُ أمـــريْنِ وزِدْ مِـــن بعـــدِه
سِـــيَّانِ في التَّجـــويزِ وهْـــوَ ءاخـــرُهْ وقَـــد أجـــادَ لَفظَـــهُ مُحـــرّرُهْ
وإنْ تقُـــلْ مـــعَ ظهـــورِ الواحِـــدِ تـقِـــفْ مـــنَ الظـــنّ علـــى المقاصِـــدِ

فصلٌ

في حدِّ السهو

للسَّـــهوِ حَـــدٌّ مَـــن نَحـــا أن يَفهمَـــهْ فهْـــوَ ذُهـــولُ المـــرءِ عمَّـــا علِمَـــهْ

فصلٌ

في حدِّ الدليل

وإنْ تُـــرِدْ مَعرفـــةَ الـــدَّليلِ مِـــنْ غـــيرِ إطنـــابٍ ولاَ تطويـــلِ
فإنَّـــهُ المرشِـــدُ فـــافهَمْ لفظَـــهُ وهْـــوَ إلى المطلـــوبِ أحكِـــمْ حِفظَـــهْ
وحَـــدُّهُ المـــأثورُ في التَّلخـــيصِ لم يتـــأتَ لـــي علـــى المنصـــوصِ
وهْـــوَ الـــذي ءاثـــرَهُ الفُحـــولُ وشـــهِدَتْ بقطعِـــه العُقـــولُ

فصلٌ

في تقسيم العلم

العلـــــمُ قســــمانِ ســـــوى القــــديمِ   عِلــمُ إلهـــي جَـــلَّ عـــن تَقســـيمِ
قِســــمٌ ضَــــروريٌّ فكـــلُّ عاقـــلِ   يعرفُــــهُ مــــن عــــالِمٍ وجَاهــــلِ
ولاَ يسُــــوغُ الانفكـــاكُ عنـــهُ   لعاقـــلٍ والانفصـــالُ منـــهُ
هــــذا إذا مــــا صـــحَّتِ الآلاتُ   وانتفـــتِ الأســـقامُ والآفـــاتُ
وقـــد مضـــتْ أنواعُـــهُ مســـتوعبَةْ   مُــــوجزَةً بيّنَـــةً مُهذَّبَـــةْ
والنَّظـــريّ قِســـمُهُ الثـــاني فَمـــا   أجلَّـــهُ فـــانظُر إلى أنْ تعلَمَـــا
فكُـــلُّ مـــا عرفتَـــهُ اســـتِدلالا   فنظـــريٌّ فـــاعرفِ الأمثـــالَ

فصلٌ

في حدِّ العالَم

فَكـــلُّ مـــا أوجـــدَهُ إلهُنـــا   عُبِّـــرَ بالعـــالَم عنـــهُ هَاهُنـــا
وَهْـــوَ علـــى نـــوعينِ نَـــوعٌ عَـــرَضُ   والآخَـــرُ الجـــوهَرُ تمَّ الغـــرَضُ
ومنهُمـــا تـــأتلِفُ الأجســـامُ   فـــاحفظ فكُـــلُّ حَـــافظٍ إمـــامُ
ولـــيس يَعـــرى جـــوهَرٌ عـــنْ عَـــرَضِ   هـــذا هُـــوَ المختـــارُ فـــافهَمْ غَرضـــي
وأنكـــرَتْ جماعـــةُ الملاحـــدَةْ   العـــرَضَ المـــدركَ بالمُشـــاهدَةْ
وقـــدْ رأوْا تحـــرُّكَ الجَـــواهرِ   بعـــدَ سُـــكونٍ شـــاهدوهُ ظـــاهِرِ
وعقلـــوا فَرقًـــا ضـــروريًّا فمَـــا   أضـــلَّهُم إذْ جهِلـــوا مَـــا عُلِمَـــا

فصلٌ

في حقيقة الجوهر

فكُــــلُّ مــــا حُيّـــز فهْـــوَ جَـــوهرُ　　هــــذا هـــوَ المــــأثورُ ممَّـــا ذكـــروا
وقيـــلَ مــــا قامَــــتْ بــــهِ الأعــــراضُ　　ومَـــا علـــى مـــا قلتُــــهُ اعـــتراضُ
وقـــالَ قـــومٌ كــــلُّ جِــــرمٍ جَـــوهرُ　　وهْــــوَ علــــى شُــــذوذِهِ مُحــــرَّرُ

فصلٌ

في حقيقة العَرَض

ومــــا تقَضَّــــى بتقضّـــي الــــزَّمَنِ　　فعَــــرَضٌ مثــــلُ اخضـــرارِ الــــدِّمَنِ
وســــائرِ الطُّعــــومِ والألـــــوانِ　　والعَجــــزِ والقُـــدرةِ والأكـــوانِ
وكَـــــالأرائِجِ وضَــــوءِ النَّــــارِ　　وحرّهـــــا والليــــلِ والنَّهــــارِ
والمــــوتِ والحيـــــاةِ والتـــــأليفِ　　والنُّطــــقِ والسُّــــكوتِ والتــــأفيفِ
والعلــمِ والجهــلِ فَسُــقْ مــا اســتبْهَمَ　　في ضـــمنِ مـــا ذكـــرْتُ حَـــدّا أَمَمَـــا
وقــــالَ في تحديــــدِهِ ابــــنُ فُورَكـــا　　مـــا لَـــمْ يقُـــم بنفسِـــه كَـــذا حَكَـــى
وقــــالَ كــــلُّ بــــارعٍ مُســــتيقظِ　　مـــا يتلاشــــى حـــينَ ينشــا فــاحفظِ

فصلٌ

وجُملـــةُ الأعـــراضِ نوعـــانِ هُمـــا　　مُفــــــارقٌ ولازِمٌ فاعرفهُمــــــا
أمَّـــا الــــذي يُفـــارقُ الجـــوهرا　　فقـــدْ تـــراهُ يتلاشـــى ظـــاهِرا
والــــلازمُ الناشـــي مـــن الأعـــراضِ　　مـــعَ التلاشـــي وهْـــوَ كالبيـــاضِ

وسائرِ الألوانِ فاعرِفْ أصلَهُ   والحِقَنْ بكلّ نوعٍ مِثلَهُ

فصلٌ

في بيان حقيقة الجسم

الجسمُ ما أولفَ منْ جواهِرِ   فهذهِ عبارةُ الأكابرِ

ومنهُمُ مَن قالَ جوهرين   فما يزيدُ فافهمِ الحَصرين

فصلٌ

والعالمُ العلويُّ والسفليُّ   أنشأهُ إلهُنا العَليُّ

واعلمْ بأنَّ العُقلاءَ أطبقوا   قَطعًا على حُدوثِهِ واتفقوا

من سائرِ الأصنافِ كالجهميَّة   ومنكري الرُّسْلِ مع الجبريَّة

وشَذَّ عنهُم سائرُ الدَّهرية   في فِرقٍ من الهيَولائِيَّة

وأنكروا حُدوثَهُ في الأصلِ   ثُمَّ ادَّعَوا بقاءَهُ عَنْ فَضلِ

وكلُّ ما مضَى منَ الكلامِ   في حدَثِ الأعراضِ والأجسامِ

دَلَّ على الحُدوثِ بالمشاهدَةْ   كَما ذَكرناهُ معَ الملاحدَةْ

فالجسمُ لا يَخلو منَ الأعراضِ   كما حَكيتُ في الكلامِ الماضي

واعلمْ بأنَّ دَوَرَانَ الفَلَكِ   في حدَثِ العالَمِ أقوى مَسلَكِ

لأنَّهُ ” دثُ في العِيانِ   مُشاهدًا بحدَثِ الزَّمانِ

فالدَّوراتُ الحادثاتُ كالتي   في غابرِ الأعصارِ قدْ تولَّتِ

إذْ كلُّ ما ليستْ لهُ نهايةُ   يلزَمُ فرضُ الحُكمِ في البدايةِ

فنفـــــرِضُ المقصـــــودَ في كلامِنـــــا   في دورةٍ تحـــــــــدُثُ في زَمانِنــــــــا

وكـــلُّ شــــيءٍ حـــادثٍ لا بـــدَّ لـــه   مَـــنْ مُحـــدِثٍ فضَـــلَّ مَـــنْ قـــدْ جهِلَـــه

هـــذا الـــذي يلـــزَمُ في العقـــول   فـــافهمْ فـــذا أصـــلٌ مـــن الأصـــول

فصلٌ

وصـــانعُ العـــالَمِ فَـــردٌ واحِـــدُ   لـــيسَ لـــهُ في خلقِـــهِ مُســـاعِدُ

جَـــلَّ عـــن الشَّـــريكِ والأولادِ   وعـــزَّ عـــن نقيصـــةِ الأنـــدادِ

فصلٌ

في حقيقة الواحد

والواحِـــدُ الشـــيءُ الـــذي لا ينقسِـــم   والشـــيءُ إن أفردتَـــهُ لم يَقتسِـــم

وقـــدْ حكـــاهُ وارتضـــاهُ المـــاهرُ   أبـــو المعـــالي وهْـــو حَـــدٌّ قاصِـــرُ

فصلٌ

وهْـــوَ قـــديمٌ مـــا لَـــهُ ابتـــداءُ   ودائـــمٌ لـــيسَ لـــه انتهـــاءُ

لأنَّ كُـــلَّ مـــا اســـتقرَّ قِدَمُـــهْ   فيســـتحيلُ في العقـــول عدَمُـــهْ

فصلٌ

لـــيسَ بجســـمٍ إذ لكـــلّ جســـمِ   مُؤلِّـــفٌ مُخصِّـــصٌ بعلـــمِ

ويلـــزمُ المخصّـــصَ المؤلفـــا   مَـــا لـــزِمَ المنـــزّهَ المكلَّفَـــا

فينقضـــي القـــولُ إلى التسلســـلِ   في عقـــلِ كُـــلّ يقِـــظٍ مُحصّـــلِ

أو ينتهـــي الأمـــرُ إلى قَـــديمِ   فيســـتوي في الـــنهجِ القَـــويمِ

وهْـــوَ الـــذي سُـــمّي جـــلّ صَـــانِعا   وبارئًـــــا ومُعطيًـــــا ومانِعَـــــا

فصلٌ

ويســــــتحيلُ أن يكــــــونَ جــــــوهَرا   مُجتـــــزءًا أنعِــــمْ هُــــديتَ النَّظــــرا

ثـــم أعِـــدْ مـــا قلتُـــهُ هَنالِكـــا   ضـــلَّ النَّصـــارى حـــينَ قـــالوا ذلِكـــا

لأنَّ مــــــا لا يســــــبقُ الحوادِثـــــا   يلــــزَمُ عقــــلاً أن يكــــونَ حادِثـــا

فصلٌ

وإن سُـــئلتَ هـــل لـــهُ لـــونٌ أجِـــبْ   "بـــلا" تعـــالى اللهُ عـــن لَـــون تُصِـــبْ

سُـــــبحانهُ هـــــو الإلـــــهُ الأحـــــدُ   الملِـــكُ الأعلـــى القـــديرُ الصَّـــمَدُ

فصلٌ

وصــــانِعُ العـــالَمِ لا يَحويـــهِ   قُطْـــرٌ تعـــالى اللهُ عـــن تَشـــبيهِ

قَـــد كـــانَ مَوجـــودًا ولا مكانـــا   وحُكمُـــهُ الآنَ علـــى مَـــا كانَـــا

سُـــــبحانَهُ جَـــــلَّ عَـــــن المكـــــانِ   وعَـــزَّ عَـــنْ تغيُّـــرِ الزَّمـــانِ

فقَـــــدْ غـــــلا وزادَ في الغُلـــــوِّ   مَـــنْ خصَّـــه بجهـــةِ العُلُـــوِّ

وحصَـــــرَ الصـــــانعَ في الســـــماءِ   مبـــدِعَها والعـــرشِ فـــوقَ المـــاءِ

وأثبتـــــوا لذاتِـــــه التحيُّـــــزَا   قـــد ضـــلَ ذو التشـــبيهِ فيمـــا جـــوَّزَا

فصلٌ

قـــد اســـتوى اللهُ علـــى العـــرشِ كمـــا   شـــاءَ ومَـــنْ كيَّـــفَ ذاكَ جسَّـــمَا

والاســـــتواءُ لفظُـــــهُ مشـــــهُورةْ   لهـــا معـــانٍ جمَّـــةٌ كـــثيرةْ

فنكِـــــــلُ الأمَـــــــرَ إلى اللهِ كمــــــا　　فوَّضَـــــهُ مَـــنْ قبلَنَـــا مِـــنْ عُلمَـــا
والخَـــــــوضُ في غـــــواِمضِ الصـــــفاتِ　　والغــــــوصُ في ذاكَ مــــــنَ الآفـــــاتِ
إذ في صــــفاتِ الخَلـــقِ مَـــا لا عُلِمــــا　　فَكيــــفَ بالخــــالِقِ فــــانْحُ الأســــلَما

فصلٌ

القول في الصفات

اعلـــمْ بـــأنَّ الاســـمَ غـــيرُ التَّســـميةْ　　ومَـــا أرى بينَهمـــا مـــنْ تســـويةْ
والوصـــفُ في مـــذهبنا غـــيرُ الصّـــفةْ　　فَـــاخترْ مـــنَ السُّـــبُلِ ســـبُلَ النَّصَـــفَةْ
وتُحصَــــــرُ الصــــــفاتُ في أقســــــامِ　　ثلاثـــــةٍ تـــــأتي علـــــى نظـــــامِ
منهـــا صـــفاتُ الـــذاتِ نحـــوُ قَـــاهرِ　　وعـــــالِمٍ وقـــــادرٍ وظـــــاهرِ
ثُـــمَّ صـــفاتُ الفعـــلِ نحـــوُ خـــالقِ　　ومُنشـــــــــيءٍ وباعـــــــثِ ورازقِ
ثُـــمَّ صـــفاتٌ إنْ أتَتْـــكَ مهْمَلَـــةْ　　في اللفـــظِ كانـــت لهُمـــا مُحتَملـــةْ
كمُحســـــنٍ ومثلُـــــهُ اللطيـــــفُ　　جـــــاءَ بمعنييهمـــــا التوقيـــــفُ
إذْ لَفظَـــهُ الأحســـنِ قـــد تُســـتعملُ　　في العلـــمِ والإنعـــامِ فيمـــا نَقَلـــوا

فصلٌ

ونحـــنُ قبـــلَ الخـــوضِ في الصـــفاتِ　　نُثبـــتُ فصـــلًا جيّـــدَ الإثبـــاتِ
يعُـــمُّ إن شـــاءَ الإلـــهُ نفعُـــهُ　　ولا يَســـوغُ منعُـــهُ ودَفعُـــهُ

فصلٌ

اعلـــم أصـــبتَ نهَـــجَ الخَـــلاصِ　　وفُـــزتَ بالتَّوحيـــدِ والإخـــلاصِ

إنَّ الذي يُؤمنُ بالرحمنِ ... يُثبتُ ما قد جاءَ في القرءانِ

منْ سائرِ الصفاتِ والتَّنزيهِ ... عنْ سَنَنِ التعطيلِ والتشبيهِ

من غيرِ تجسيمٍ ولا تكييفِ ... لِما أتى فيهِ ولا تحريفِ

فإنَّ منْ كيَّف شيئًا منها ... زاغَ عن الحقّ وضلَّ عنها

وهكذا ما جاءَ في الأخبارِ ... عن النبيّ المصطفى المختارِ

فكُلُّ ما يُروى عنِ الآحادِ ... في النصّ في التجسيمِ والإلحادِ

فاضربْ به وجهَ الذي رواهُ ... واقطعْ بأنَّه قد افتراهُ

وإن يكُنْ رواهُ ذُو تعديلِ ... صَدّقْهُ مهما شاعَ في التأويلِ

وأفرَدَ الأستاذُ في الأخبارِ ... مُصنَّفًا يصلُحُ للأحبارِ

فاحفظْ هُديتَ هذهِ الأصولا ... ثمَّ الزمَنْهَا ودعِ الفُضولا

فإنها مُجزئةٌ مَن قصَدا ... مَعرفةَ الحقّ ومنهاجِ الهُدى

فهَهنا تشعَّبَ الإسلامُ ... فاستسلَمَ الأئمةُ الأعلامُ

فأنكرتْ صِفاتِهِ المعتزلةْ ... سُبحانَ من أنشأنا مَا أعدلَهْ

وجَعلوا كَلامَهُ في شجرةْ ... لعبدهِ مُوسى ألا ما أنكرَهْ

وفِرقةٌ مالوا إلى القياسِ ... فأثبتوها كَصفاتِ الناسِ

وبعضُهم أثبتَ منها البعضا ... ثمَّ نفى البعضَ فجاءَ عُرْضا

ثمَّ الخلافُ بينَ مُثبتيهَا ... في نفسها أكثرُ منهُ فيها

ولــــو أخـــــــذتُ أذكُـــــرُ المـــــذاهبَا　　كنـــتَ تَـــرى في خُلفِهـــا عَجائِبـــا

فصلٌ

ءاضَ الكــــــلامُ في الصــــــفاتِ فــــاسمعِ　　تَعــــدادَها علــــى الــــولا واحفــــظ وعِ

وصــــانعُ العــــالمِ حــــيٌّ عــــالمُ　　لأنَّــــــه ربٌّ بَــــــديعٌ حــــاكِمُ

حياتُــــــهُ قديمــــــــةٌ كذاتــــــــهِ　　وهكــــذا مــــا جــــاءَ مــــن صــــفاتِهِ

كــــــــالعلمِ والقُــــــــدرةِ والإرادةْ　　وقَــــد يُنــــافي أمــــرُهُ مُــــرادَهْ

وهـــــو الســـــميعُ القـــــادرُ المريـــــدُ　　ذو الــــبطشِ فعــــالٌ لِمَــــا يريــــدُ

ومــــنْ صــــفاتِ الصــــانعِ البصــــيرُ　　ببصــــرٍ لــــيس لــــهُ نظــــيرُ

فصلٌ

وصــــانعُ العــــالمِ ذو كــــلامِ　　أوصــــلَ معنــــاهُ إلى الأفهــــامِ

كلامُــــهُ المنــــزَلُ مــــن صــــفاتِهِ　　وهْــــوَ قــــديمٌ قــــائمٌ بذاتِــــهِ

وهــــو إذا تقــــرؤهُ بــــالأحرُفِ　　مِــــن بعــــدِ أن نكتُبَــــهُ في المصــــحفِ

تحفظُــــهُ الصــــدورُ ذِكــــرًا كلُّهَــــا　　لكــــن علــــى التحقيــــقِ لا يحلُّهــــا

ويُمنــــعُ المحــــدِثُ أن يَمسَّــــهُ　　أو يُســــبغَ الطُّهــــرَ الصَّــــحيحَ نفسَــــهُ

وإنمــــا نفعلُــــهُ إجــــلالا　　فــــاقنعْ بهــــذا وارفُــــضِ المُحــــالا

وليسَــــت الــــتّلاوةُ المَتلــــوّا　　زادَ ذَووا الحشــــوِ إذًا غلُــــوّا

فميّــــزِ المقــــروءَ والمكتوبــــا　　فــــاعتبرِ الحســــابَ والمحسُــــوبا

وقُـــل لمـــن قـــدْ كيَّـــفَ الكلامَـــا بـــالحَرفِ والصـــوتِ معًـــا ســـلامًا

فـــإنَّهم قـــد كـــابروا العِيانـــا وخـــالفوا الـــدليلَ والبُرهانـــا

إذ عَـــدَّدوا القـــديمَ في المصـــاحفِ وجعلـــوا حَـــديثها كالسَّـــالفِ

وهُـــم إذًا مُـــذ شـــاهدوا الكتابَـــا قَـــد حَزَّبـــوا مَـــا كتَبـــوا أحزَابـــا

واختَلفـــت أقلامُهُـــم في الخـــطِّ طرائقًـــا علـــى اخـــتلافِ الضَّـــبطِ

وهكـــذا يـــأتي أنـــاسٌ بعـــدَهُم مـــا كتبـــوا فهْـــو قـــديمٌ عنـــدهُم

فيـــا أولـــي التشـــبيهِ والتجســـيمِ الحـــاءُ في الـــرحمنِ قبـــلَ المـــيمِ

وهكـــذا المتلـــوُّ في كلامِكُـــم أيُّهُمـــا القـــديمُ في اعتقـــادِكُم

أضـــللتُمُ الجهَّـــالَ بالتمويـــهِ لمـــا ســـلكتُم نهَـــجَ التَّشـــبيهِ

فمَـــن يقُـــل بعـــضَ الـــذي حكَيتُـــهُ قطعًـــا علـــى الوجـــهِ الـــذي رويتُـــهُ

فـــذاكَ عَيْـــرٌ قـــالَ لفظًـــا عُـــوّدَهْ أدّبـــهُ بالضـــربِ وقصِـــر مقْـــوَدَهْ

ويعسُـــرُ التأديـــبُ إذ قـــدْ أَلِفَـــهْ اربطـــهُ في الشـــمسِ وقلّـــلْ علفَـــهْ

أعـــرِضْ قِلَّـــى عـــن هـــؤلاءِ الجهلـــهْ مَـــن يُضـــلِل اللهُ فـــلا هـــاديَ لـــهْ

وكُـــفَّ مـــا اســـتطعتَ عَـــن إفهـــامِهِم قـــد طبـــعَ اللهُ علـــى أفهـــامِهِم

القول في أفعال الله جلّ وعلا

وصـــانِعُ العـــالمِ جلَّـــتْ قُدرتُـــهْ قَـــد نفَـــذَتْ في خَلقِـــهِ إرادتُـــهْ

فكُـــلُّ مـــا يحـــدُثُ في الوجـــودِ فهْـــوَ مُـــرادُ الواحـــدِ المعبـــودِ

فالفسقُ والعصيانُ والغَوَايةْ والرُّشدُ والطاعةُ والهدايةْ
والكفرُ والشِّقوةُ والسعادةْ لربّنا سبحانَهُ مُرادَهْ
وكلُّها حقًّا منَ اختراعِهِ وكلُّ ما يكونُ من إبداعِهِ
والفعلُ كسبُ العبدِ وهوَ جاري على مُرادِ الواحدِ الجبَّارِ
إذ لو يشاءُ لهدى الناسَ على ما قالَ جلّ عن تعَدّدٍ وعَلا
وهُوَ عَلى زَجرِ العبادِ قادرُ سُبحانَهُ هُوَ القويُّ القاهرُ
واستيقِظن لفهمِ أصلِ المسئلةْ فهَا هُنا تورَّطَ المعتزلَةْ

فصلٌ

ما أمرَ اللهُ بهِ عبادَهْ ففيهِ ما لم يَجرِ في إرادَة
لأنَّهُ قد أمرَ الخليلا في الوحيِ أن يذبحَ إسماعيلا
ولم يُرِدهُ إذ أتاهُ منهُ وَحيًا لقد صدَّقتَ أمسكْ عنهُ
فكلُّ ما يبدو من التأويلِ نُبطِلُهُ في الحالِ بالدليلِ
وهكذا أخبرَ عَن أبي لهَبْ عمّ النبيّ وابنِ عبدِ المطلبْ
بأنَّه يموتُ وهو كافرُ ثُمّ سيصلى النَّارَ وهْوَ خاسرُ
لم يُغنِ عنهُ مالُه وما كسبْ تبَّتْ يداهُ إذ عصى اللهَ وتَبْ
وكُلّفَ الإيمانَ بالإجماعِ مِنْ غيرِ تأويلٍ ولا نِزاعِ
وينتهي القولُ إلى تكليفِ مَا لا يُطاقُ فافهَمْنَ تعريفي

وهكـــــذا قـــد كُلّــف السُّــجودا | إبلـــيسُ حتمـــا فعصـــى المعبُـــودا
فكيـــفَ يـــأتي مـــاردٌ سُـــلطانُ | بضــدّ مـــا يُريـــدُهُ الـــرحمنُ
وقـــد تـــرى ذلـــكَ في العقـــولِ | مُجـــوَّزًا في المثَـــلِ المنقـــولِ
فنـــذكرُ الآنَ المثـــالَ لفظَـــا | فاسمعْـــهُ نَقـــلا واحكمْنَـــهُ لفظَـــا
عبـــدٌ شـــكَى مـــولًى إلى الســـلطانِ | ونســـبَ المـــولى إلى العُـــدوانِ
فاســـتُدعيَ المـــولَى فجـــاءَ ذَعِـــرَا | أنَّبَـــهُ الســـلطانُ لَّمـــا حضَـــرا
أرادَ أن يعـــرِفَ مَـــن قـــدْ أنَّبَـــهْ | علـــى تعدّيـــهِ عليـــهِ ســـبَبَهْ
وأنَّـــهُ يخـــالفُ الأوامِـــرا | يُعانِـــدُ المـــولى عنـــادًا ظـــاهرًا
فقـــالَ للســـلطانِ يـــا مولانـــا | مَهـــلا تـــرى عِصـــيانَهُ عِيانَـــا
فاستحضـــرَ العبـــدَ إلى مجلسِـــهِ | ولمْ يُفاجئْـــهُ بمـــا في نفسِـــهِ
وأمـــرَ العبـــدَ بمـــا أرادا | خِلا فَـــهُ كـــي يُظهـــرَ العِنـــادَا
لـــيعلمَ الســـلطانُ صـــدقَ عُـــذرِهِ | ولم يـــرِدْ منـــهُ امتثـــالَ أمـــرِهِ
فـــانظرْ مثـــالاً حســـنًا عجيبَـــا | نهايـــةً رتّبتُـــهُ ترتيبَـــا
أعملـــتُ جَهـــدي غايـــةَ الإعمـــالِ | إذ هُـــوَ مـــنْ شـــواردِ الأمثـــالِ
مثّلَـــهُ مَـــن أحكـــمَ العلومـــا | وعـــرَفَ الخصـــوصَ والعُمومَـــا
مُستشـــهدًا بشـــاهدِ العقـــولِ | لينظُـــرَ الحكمـــةَ في المنقـــولِ

فصلٌ

وصـــانعُ العـــالمِ لَمَّـــا اخترعَـــهْ بمَنِّـــهِ وطَوْلِـــه وأبدعَـــهْ
لم يكُـــن الخَلْـــقُ عليـــهِ واجِبَـــا ولا قَضـــى بخلقِـــهِ مآرِبَـــا
ومـــا لَـــه في خلقِـــه أغـــراضُ ولا عليـــهِ لهُـــم اعـــتراضُ
إذ هُـــو لا يســـئلُ عمَّـــل فعلَـــهْ إلاَّ علـــى مـــا قالَـــهُ المعتزلـــهْ

فصلٌ

للهِ أن يُكلِّـــفَ العبـــادا مَـــا لا يُطيقـــونَ متـــى أرادا
ولـــو يشـــاءُ عنـــدنا أهملَهُـــم بأســـرِهِم مـــن غـــيرِ تكليـــفٍ لهُـــم
وهكـــذا للواحِـــدِ الجبـــارِ إنشـــاؤُهم في جنَّـــةٍ أو نـــارِ

فصلٌ

لربّنـــا ســـبحانَهُ تعـــالى أن يُـــؤلمَ الـــدَّوابَ والأطفـــالا
بملكِـــهِ مـــن غـــيرِ جُـــرمٍ ســـابقِ مـــنهُم ومـــنْ غـــيرِ ثـــوابٍ لاحـــقِ
وأنْ يُثيـــبَ كُـــلّ مَـــنْ عصـــاهُ ويَمنـــعَ الثـــوابَ مَـــنْ أرضـــاهُ
ويســـتحيلُ وصـــفُهُ بـــالظلمِ والجـــوْرِ إذ هُـــم ملكُـــهُ في الحكُـــمِ
لكنَّـــه مـــنَّ علـــى مَـــن عبـــدَهْ تفضُّـــلاً منـــهُ بمـــا قـــد وعـــدَهْ
لـــيس بحـــقّ واجـــبٍ مَحتـــومِ ولا بفـــرضٍ لازمٍ مَجـــزومِ
وإنمـــا ذلـــكَ فَضـــلُ جُـــودِهِ يَمنحُـــهُ مَـــن شـــاءَ مِـــن عبيـــدِهِ
فكُـــلُّ مـــنَ أثابَـــهُ فإنمـــا يُثيبُـــهُ بفضـــلِهِ تكرُّمَـــا

وكــــلُّ مَــــن عاقبَــــه مــــن خلقِــــهِ   فإنمـــــا يفعـــــلُ بعـــــضَ حقّـــــهِ

فصلٌ

لصـــــانعِ العـــــالمِ أن يقضـــــيْ بمـــــا   شـــــاءَ ولا يلزمُـــــــهُ أن يُنعِمـــــا
ولا عليـــــهِ أن يُراعـــــيْ الأصـــــلحا   لأحـــــدٍ منَّـــــا ولا أنْ يمْنحَـــــا
إذ ذاكَ لا حـــــــدَّ لـــــــهُ فيُحصَـــــرا   ولا لَـــــهُ نهايـــــةٌ فتـــــذكَرا
فكـــلُّ مـــا يُقـــالُ هـــذا الأصـــلحُ   ففوقَـــهُ مَـــا هـــوَ منـــهُ أرجَـــحُ
فنُوضـــحُ القـــولَ مـــعَ المعتزلـــةْ   بجملـــةٍ تكشـــفُ ســـرَّ المســـئلةْ
فأصـــلحُ الأشـــياءِ للعبـــادِ   كَفُّ هُـــمُ عـــن ســـبُلِ الفســـادِ
وأنْ يكونـــوا حالـــةَ الإنشـــاءِ   في جـنَّـــةٍ دائمـــةِ البقـــاءِ
ولـــيسَ للمـــوتِ إلـــيهم نهَـــجُ   يســـلُكُهُ ولا علـــيهِم حَـــرَجُ
وأن يكـــونَ الخلـــقُ ذا اســـتواءِ   في حالـــةِ الـــدَّوامِ والإنشـــاءِ
علـــى أتمّ الصُّـــورِ المستحســـنَةْ   فـــاعرفْ ســـبيلَ الحـــقّ والـــزمْ سُـــنَنهْ
واعلـــمْ بـــأن فـــوقَ مـــا أصَّـــلتُهُ   مَراتبًـــا تـــرجَحُ عمـــا قلتُـــهُ
ومـــا نـــرى الخـــالقَ راعـــى الأصـــلحا   للخلـــقِ لكـــن جَهلُهُـــم قـــدْ وضَـــحَا

فصلٌ

إلهُنـــــا ســـــبحانه تعـــــالى   قـــد قـــدَّرَ الأرزاقَ والآجـــالا
فكـــلُّ مـــا ينتفِـــعُ المخلـــوقُ بـــهْ   فرزقُـــهُ مـــعَ اخـــتلافِ ســـبَبهْ

وينطـــــــــوي في ذلـــــــكَ الحَــــــــرامُ   وهكـــــــذا قـــــد قالَـــــهُ الأعــــلامُ

فصلٌ

وإنَّ مَـــــنْ مــــــاتَ بهـــــدمٍ أو غـــــرَقْ   أو ضُـــــرّمَتْ عليــــهِ نـــارٌ فـــاحترَقْ

فقـــد قضـــى مـــن الحيـــاة أجلَــــهْ   وجاحِـــدُ الحــــقّ ســـيلقى عملَـــهْ

فصلٌ

ومُـــــــدركُ التحســــــينِ والتَّقبــــــيحِ   الشـــــرعُ لا العقــــلُ علـــى الصَّـــحيحِ

هـــذا الـــذي ارتضـــاهُ أهـــلُ الحـــقّ   قاطبـــــةً دُونَ جَميــــــعِ الخلــــــقِ

مـــن ســـائرِ الأصـــنافِ كالمعتزلـــةْ   وغَيرِ هِـــمْ مـــنَ الرَّعـــاعِ الجهلَـــةْ

فـــإنَّهُم قَـــد قسَّـــموا الأفعَــــالا   ثلاثـــــةً أذكُرُهـــــا ارتِجـــــالا

فواحِــــــدٌ مُدركُــــــهُ بالعقــــــلِ   ضــــــرورةً وواحـــــدٌ بالنقــــــلِ

فالكــــــذبُ المفضـــــي إلى إضــــرارِ   يُعلــــمُ قُبحُــــهُ عَـــن اضـــطرارِ

وهكــــذا يُعلــــمُ حُســـنُ الصّـــدقِ   المقتضـــي للنُّصـــحِ فـــافهمْ نُطقـــي

وواحــــــدٌ مُدركُــــــهُ بـــــالنَّظَرِ   كالكـــذبِ المُبــــدي لـــدَفعِ الضَّـــررِ

والصــــــدقِ إن أفضَـــــى إلى فسَــــادِ   وقَـــد أتـــى القـــولُ علـــى السَّـــدادِ

وكُـــــلُّ مـــــا يلـــــزَمُ بـــــالتَّحَكُّمِ   وهْـــوَ يُنـــافي العقـــلَ كـــالتيمُّمِ

والغُســــلِ والصــــلاةِ والصــــيامِ   والســـعي والطـــوافِ والإحـــرامِ

فإنَّـــــه يُـــــدرَكُ بالسَّـــــماعِ   مِـــن قِبَـــلِ الشَّـــارِعِ بالإجمـــاعِ

واعلــم بـــأنَّ كـــلَّ مـــا قـــالوهُ ... وأطنبـــوا فيـــهِ وقسَّـــمُوهُ

زَخــــارفٌ حسَّـــنها التَّنميـــقُ ... يُظهِـــرُ أصـــلَ زيفِهـــا التَّحقيـــقُ

إذ جعلـــوا فيـــهِ ضـــروريا ومَـــنْ ... حـــقّ الضَّـــروريّ الوِفـــاقُ فاســـتَبِنْ

كمـــا يُحيـــلُ العقـــلاءُ جهلَـــهُ ... أن يخلُـــقَ الـــرَّبُّ إلهًـــا مثلَـــهُ

ويعلمـــونَ أنَّ كُـــلَّ أحـــدِ ... أقـــلُّ ممـــا فوقَـــهُ مـــنْ عَـــددِ

فـــإذ رأى الخِـــلافَ أهـــلُ الحـــقِّ ... وهُـــم علـــى التَّحقيـــقِ جُـــلُّ الخَلـــقِ

أُبطِـــلَ قطعًـــا مـــا ادّعـــوا معرفتَـــهْ ... ضَـــرورةً بالعقـــلِ فـــاحفظْ صـــيغتَهْ

وكـــلُّ مـــا تدخلُـــهُ الدَّلالـــةْ ... فنَظَـــريُّ النـــوعِ لا محَالـــةْ

وهـــا هُنـــا يَمتنِـــعُ المنـــاظِرُ ... أن يـــذكُرَ الـــدليلَ وهـــو ظِـــاهرُ

والحســـنُ المقـــولُ فيـــهِ افعَـــلْ كمـــا ... قَـــد حـــدَّهُ مَـــن قـــدرُهُ قَـــد عَظُمـــا

فنُوضِـــحُ الحـــقَّ بفـــرضِ مســـئلَةْ ... مَتينَـــةِ الإلـــزامِ جِـــدّا مُشـــكِلَةْ

وهـــي علـــى التَّحقيـــقِ أقـــوى الأسـئِلَةْ ... ألا اسمعـــوا مَعاشِـــرَ المعتزلَـــةْ

ألـــيسَ أن الحـــقَّ حقّـــا حكَمَـــا ... بـــأنَّ مَـــن لـــهُ عبيـــدٌ وإمَـــا

ســـلَّطهُم علـــى الفســـادِ فطَغَـــوا ... وانهمكـــوا فيـــهِ وضـــلُّوا ولغَـــوا

وأهلَكَـــوا الأولادَ والأمـــوالا ... وقتلـــوا النّســـاءَ والرّجـــالا

وهـــوَ علـــى رَدعهـــمُ قـــدير ... لـــو شـــاءَ لا يلحقُـــهُ تقصـــيرُ

عُـــدَّ ســـفيهًا حمِقًـــا مُهَـــوَّرَا ... إذ لـــو يشـــاءُ لأزالَ المنكـــرَا

ألـــيسَ هـــذا حُكمَهُـــم في الشَّـــاهِدِ فيمـــا يـــرَوْنَ في الإلـــهِ الواحِـــدِ
وإن يقولـــــوا إنَّـــــه قَـــــد عجَـــزَا تلفَّظـــوا بـــالكُفر لفظًـــا مُـــوجزَا
وإن يقولـــــوا إنَّـــــه جبَّـــــارُ ذُو قُـــــوَّةٍ مَتينـــــةٍ قَهَّـــــارُ
التزمـــوا القَـــولَ بـــأنَّ الحُكمَـــا بالشَّـــرْعِ لا غـــيرَ مَنـــوطٌ حَتمـــا
وهـــــذِهِ قاعـــــدةٌ مشـــــهورةْ تأتيـــكَ في أســـئلةٍ كـــثيرةْ
كقـــولِ مـــن قـــالَ لنـــا وصـــرَّحَا إنَّ عليـــهِ أن يُراعـــيْ الأصـــلحا
وهكـــــذا الكـــــلامُ في الأفعـــالِ وخلقِهَـــا والـــرزقِ والآجـــالِ

فصلٌ

وجُملـــةُ الإيمـــانِ قـــولٌ وعمَـــلْ ونيَّـــةٌ فاعمـــلْ وكُـــنْ عَلـــى وَجَـــلْ
فإنَّـــــه يـــــنقُصُ بالعِصـــــيانِ فاخضَـــعْ إذًا في الســـرِّ والإعـــلانِ
وَواظِـــب الطَّاعـــةَ والعِبـــادَةْ تـــزِدْ بهـــا فـــاغتنِمْ الزيـــادةْ
هـــذا مَقَـــامُ المتقـــدّمينا ذَوي التُّقـــى الجَـــمّ المحـــدّثينا
وهـــذِهِ اللفظـــةُ في التَّحقيـــقِ مَوضـــوعةٌ في الأصـــلِ للتصـــديقِ
وذاكَ فِعـــلُ القلـــبِ كـــالإرادةْ لا يَقبـــلُ النُّقصـــانَ والزّيـــادةْ
هـــذا الـــذي مـــالَ إليـــهِ الأشـــعري وَهـــوَ عـــن التشـــبيهِ والإفـــكِ عَـــري

القول في النبوات

ولـــيسَ يســـتحيلُ بَعـــثُ الرُّسُـــلِ في عقـــلِ كُـــلّ فَطـــنٍ مُحصِّـــلِ

فــــــذا مَقــــــالُ المتشَــــــرّعينَا مـــنْ ســـائرِ العـــالَمِ أجمَعينـــا
وهُـــــم إذًا ذوُو العقـــــول الســـــالِمَةْ وقـــدْ أحـــالَ ذلـــكَ البراهِمَـــةْ
وجعلــــوا العُمــــدةَ في التَّصـــحيحِ مســـئلةَ التَّحســـينَ والتَّقبـــيحِ
وقـــدْ مضَـــى كلامُهـــا مُســـتوعبَا جَـــزْلاً قَويّـــا بَيّنًـــا مُهـــذّبَا
فليـــتَ شـــعري مـــا الـــذي أحَالَـــهْ أم أيـــنَ وَجـــهُ هـــذهِ الدّلالـــة

فصلٌ

في حقيقة المعجزة

وكُـــلُّ فِعـــلٍ خَـــرَقَ العـــاداتِ وبـــانَ عَـــن وهْـــنِ المعارَضـــاتِ
جَـــاءَ بـــهِ مَـــنْ يـــدَّعي النُّبـــوة مـــعَ تحدّيـــهِ بـــهِ في القُـــوَّة
فـــذلكَ الفعـــلُ الـــذي قَـــد أظهـــرَهْ مُعجـــزةً تُثبـــتُ مَـــا قـــدْ ذكـــرَهْ
وسُـــمّيتْ مُعجـــزةً لكونِهـــا تُعجـــزُ كُـــلّ أحَـــدٍ عَـــن فنّهَـــا
والمعجِـــزُ اللهُ ولـــيُّ الحِفـــظِ وإنَّمـــا تَجـــوَّزوا في اللفـــظِ
وهْـــي إذًا تَنـــزلُ في المثـــالِ منزلـــةَ التصـــديقِ في المقـــالِ
هـــذا هـــو المختـــارُ في الإرشـــادِ فـــاسمَعْ مثـــالَ ذاكَ مِـــن إيـــرادي
إذا تصـــدَّى ملِـــكٌ كـــبيرُ ذُو سَـــطوةٍ ومَجْـــدُهُ مشـــهورُ
للخلْـــقِ في مَجلسِـــهِ فاحتشَـــدُوا واجتمعـــوا عليـــهِ حتَّـــى قعـــدُوا
وجـــاءَ مِـــنْ أقصـــا الـــبلادِ النـــاسُ وازدحَـــمَ القِيَـــامُ والجُـــلاَّسُ

فقَـــامَ مِـــنْ أصـــحابِهِ إنســـانُ مُنتصـــبًا شـــاهدَهُ السُّـــلطانُ
صَـــاحَ بـــأعلاَ صـــوتِهِ في النـــادي ألا اسمَعُـــوا مَعاشـــرَ الأشـــهادِ
قـــد جـــاءَكُم أمـــرٌ عظـــيمُ الشَّـــانِ فاســـتمِعوا مـــن قَبلـــهِ بُرهـــاني
أنـــا رســـولُ الملـــكِ الجليـــلِ إلـــيكُم وفِعلُـــهُ دَليلـــي
يـــا أيُّهـــا الســـلطانُ فـــانقض عادتَـــكْ وقُـــمْ إذًا واقعُـــدْ وخـــالِف سُـــنَّتَكْ
ليعلمـــوا حَقيقـــةَ الرســـالةْ بمَـــا يرونَـــهُ مـــنَ الدّلالـــةْ
وأنَّ حقّـــا كـــلُّ مـــا أحكيـــهِ عنـــكَ ومهمَـــا قُلـــتَ ترتضـــيهِ
فامتثَـــلَ الســـلطانُ مـــا قـــدْ ســـألَهْ صـــاحبُهُ فصـــحَّ مـــا قـــدْ نقلَـــهْ
وصـــارَ عنـــدَ الحاضـــرينَ بتَّـــا كأنَّـــهُ قـــالَ لـــهُ صـــدقتَا
فـــانظُرْ إلى عجائـــبِ الأمثـــالِ أتَـــتْ بهـــا خـــواطِرُ الرّجـــالِ

فصلٌ

في نبوّة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم

وقَـــدْ أتـــى نبيُّنـــا المؤَيَّـــدُ الهـــاشميّ المصـــطفى محمَّـــدُ
بمُعجـــزاتٍ في الأنـــامِ اشـــتهرَتْ ثُـــمَّ إلى جَميعـــهِ تـــواترتْ
أوَّلُهَـــا القـــرءانُ ذُو الإعجـــازِ بـــالنَّظمِ والأخبـــارِ والإيجـــازِ
وكـــانَ أميّـــا كمَـــا تـــواترَا فقَـــصَّ أخبـــارَ الألى كمَـــا تَـــرى
أنبـــأ عمَّـــا قـــد جـــرى في القِـــدَمِ للأنبيـــاءِ وجَميـــعِ الأمـــمِ

بـــايـنَ نظـــمَ الشّـــعرِ والرَّســائلِ
وســـائرَ الأســـجاعِ بالفواصـــلِ

فـــالعرَبُ اللـــذُو ذُوو الإعجـــابِ
والتّيـــهِ بالأشـــعارِ والخطـــابِ

حـــينَ أصـــاخُوا سمِعـــوا كَلامَـــا
لا يعرفـــونَ مثلَـــه نِظامَـــا

فاجتهـــــدوا في أنْ يُعارِضُـــــوهُ
فـــذكروا لفظًـــا ولم يَرضَـــوهُ

ولـــوْ سمعـــتَ مـــا الـــذي قـــالوهُ
واحتفلـــوا لكـــي يُمـــاثِلُوهُ

لقُلـــتَ مـــا كـــانوا ذَوي ألبـــابِ
ولا لهُـــم فصـــاحَةُ الأعـــرابِ

فـــالعقلاءُ ءاثَـــروا الإيمانَـــا
حـــينَ رأوْا مـــا سمِعـــوا عِيانَـــا

فصلٌ

وأخـــبرَ النـــاسَ عـــن الغيـــبِ بمَـــا
يكـــونُ مـــن بَعـــدُ علـــى مَـــا أُلهِمَـــا

فكـــانَ مـــا أخـــبرَ عنـــهُ حَقَّـــا
ووجـــدوا ذلـــكَ منـــهُ صِـــدقَا

حـــنَّ إليـــهِ الجِـــذعُ وانشـــقَّ القمَـــرْ
وجـــاءَ سَـــحًّا عنـــدما استسقى المَطَـــرْ

ونبـــعَ المـــاءُ علـــى التَّتَـــابُعِ
في كَفّـــهِ مِـــنْ خَلَـــلِ الأصـــابعِ

وهكـــذا خاطبَـــهُ الـــذّراعُ
لفظًـــا وعـــتْ مضـــمونَهُ الأسمـــاعُ

فقـــالَ ذَرنـــي إنَّـــني مَســـموعُ
وهْـــوَ كـــلامٌ مُعـــربٌ مَفهـــومُ

ونطَـــقَ الـــوَحشُ لـــهُ وصـــرَّحَا
ثُـــمَّ الحَصـــى في كفّـــه قـــدْ ســـبَّحَا

وأشـــبَعَ الخلـــقَ الكـــثير مـــرَّةْ
مـــنَ اليســـيرِ ورواهُ جَهـــرَةْ

أُســـريَ بـــه في ليلـــةٍ فعـــادَا
فعـــرَفَ الأعـــلامَ والـــبلادَا

مـــا بـــينَ أرضِ المســـجدِ الحـــرامِ
والمســـجدِ الأقصـــى بـــأرضِ الشـــامِ

ولم يكُــــنْ أضــــغاثَ أحــــلامٍ ولا
يقولُـــــهُ مــــنْ نفسِــــهِ تقـــوُّلا

فكيـــــفَ قيـــلَ إنَّـــهُ افـــتراهُ
وقـــدْ حكَـــى للنـــاسِ مـــا رءاهُ

فعلِمـــــوا صِـــــحَّتَهُ إيقانَـــــا
وقـــدْ رَأوْا مـــا قالـــهُ عِيانَـــا

وللـــــنبيّ معجــــزاتٌ جَمَّــــةْ
مشـــهورةُ الوجـــودِ عنـــدَ الأمَّـــةْ

النـــاسُ في ذلـــكَ قـــد توسَّـــعُوا
فـــاقنعْ وفيمـــا قَـــد حكيـــتُ مقنَـــعُ

فصلٌ

وبعـــدَ أن قـــد ثبتَـــتْ دَلالَتُـــهْ
صـــحَّتْ بمـــا جـــاءَ بـــهِ رســـالتُهْ

ونســـخَتْ شـــرعَ الألى شـــريعتُهْ
ووَجَبَـــتْ علـــى الأنـــامِ طاعتُـــهْ

وخـــتمَ اللهُ بـــهِ الرســـالةْ
حقّـــا وقـــد شـــرَّفَهُ وءالَـــهْ

فصلٌ

وكـــلُّ مـــا جـــاءَ عـــن الرســـولِ
نقـــلاً تلقَّينـــاهُ بـــالقَبولِ

كـــالخبَرِ الـــواردِ في الأهـــوالِ
القـــبرِ والعـــذابِ والســـؤالِ

فيســـألُ الميَـــتَ حَقّـــا مُنكَـــرُ
وعنـــدَهُ نكـــيرُ فيمـــا يُـــذكَرُ

عَـــن ربّـــهِ جَـــلَّ وعَـــن شـــريعتِهْ
مِـــنْ بَعـــدِ عَـــوْدِ رُوحِـــهِ في جُثَّتِـــهْ

وهكـــذا جـــاءَ عَـــن الرســـولِ
وكلُّـــهُ يَجـــوزُ في العقـــولِ

لأنَّ مـــن أنشـــأ أصـــلَ العـــالَمِ
يُعيـــدُ رُوحًـــا عنـــدَ كُـــلّ عـــالِمِ

فقُـــــل إذًا كقـــــولِ كُـــــلّ حَبْـــــرِ ربّ أعِـــــذني مـــــن عـــــذابِ القـــــبرِ

إذْ هُــــو حـــــقٌّ يَجــــبُ الإيمـــــانُ بــــهِ كمـــا قـــدْ قالَـــه الأعيـــانُ

وجاءَنـــــا في الخـــــبرِ المـــــرويّ الثابــــتِ النَّقــــلِ عــــن الـــــنبيّ

القـــــبرُ روضـــــةٌ مـــــن الجنـــــانِ أو حُفــــرةٌ مــــن حُفَــــرِ الـــــنيرانِ

فصلٌ

ويجـــــبُ الإيمـــــانُ بـــــالميزانِ لأنَّـــــه قـــــد جـــــاءَ في القـــــرءانِ

في كفَّتَيْـــــهِ تُـــــوزنُ الأعمـــــالُ فتظهـــــرُ الأقـــــوالُ والأفعـــــالُ

فينـــدَمُ العاصـــي علـــى مـــا أجرَمـــا ويفـــرَحُ المحســـنُ ممَّـــا قـــدَّمَا

فصلٌ

وهكـــــذا الصـــــراطُ في القـــــرءانِ مكَـــــرَّرُ اللفـــــظِ مـــــعَ البيـــــانِ

يُمَـــــدُّ فيمـــــا جـــــاءَ في الأخبـــــارِ مُصـــــحَّحًا علـــــى شـــــفيرِ النـــــارِ

يمُـــــرُّ كـــــلُّ مـــــؤمنٍ بسُـــــرعةْ عليـــــهِ والويـــــلُ لأهـــــلِ البدعـــــةْ

فصلٌ

ويجـــــبُ الإيمـــــانُ بالحســـــابِ والبعـــــثِ والوقـــــوفِ والعقـــــابِ

وكُـــــلِّ مـــــا جـــــاءَ مـــــن الوعيـــــدِ والوعـــــدِ في القـــــرءانِ والتهديـــــدِ

فصلٌ

والنـــــارُ والجنَّـــــةُ قـــــد أُنشـــــئتا إذ أذِنَ اللهُ وقـــــــد أُعِـــــــدَّتَا

وأنكـــــرتْ جماعـــــةُ المعتزلـــــةْ خلْقَهُمـــا فضَـــلَّ مَـــن قـــدْ جهِلَـــهْ

إذ جـــــــــاءَ في ءاي القـــــــــرءانِ خلقُهُمـــــا فصــــارَ كالعِيـــانِ

فصلٌ

والحــــــوضُ والمقـــــامُ والشـــــفاعةْ لســـــيّدِ السُّــــنّةِ والجماعــــــةْ

محمَّــــدٍ ذي الشـــــرفِ العظـــــيمِ في الحشــــرِ والميـــزةِ والتقــــديمِ

فلــــيسَ يبقـــى في الجحـــيمِ أحـــدُ شـــــفيعُهُ نبيُّنَـــــا محمَّـــــدُ

ومَـــن أتـــى كـــبيرةً مـــن أمَّتِـــهْ فإنَّـــهُ يـــــدخُلُ في شــــفاعتِهْ

فصلٌ

في رؤية الخالق جلَّ وعلا

وقـــد أتـــى في الخبَـــرِ المنقـــولِ الثابـــتِ النقـــلِ عـــن الرســـولِ

رؤيـــــةُ ربّ الخلْـــــقِ في القيامـــةْ كـــالقمرِ النـــائي عـــن الغَمامـــةْ

ولم يُـــــردْ بضـــــربهِ المثـــــالا إلا انتفـــــاءَ الشــــكّ والإجــــلالا

إذ رؤيـــــةُ الخــــالقِ لا تُكيّــــفُ هـــذا الـــذي كـــان عليـــهِ الســـلفُ

فمُنكروهـــــا خـــــالفُوا الرســـــولا وعانـــــدوا النقـــــولَ والمعقـــــولا

ولا يَـــــرى الخـــــالقَ إلا مســــلمُ منـــــــزّهٌ لذاتِـــــــهِ مُعظّـــــــمُ

خـــالٍ عـــن البدعـــةِ والضَّـــلالةْ لا كالـــذي ظـــنَّ أولُـــو الجهالـــةْ

فصلٌ

وكـــلُّ مَـــن مـــاتَ علـــى عِصـــيانِ يَجـــوزُ أن يُعَـــمَّ بـــالغُفرانِ

عَقـــلاً وفي الحُكـــمِ سيصـــلى النـــارَا ورافِـــضَ الإســـلامِ والكفَّـــارَا

فصلٌ

ومَــــن أتــــى كـــبيرةً لا يخـــرُجُ — عَــنْ دينِــه قــد ضــلَّتِ الخــوارجُ
ممَّــا سِــوى الكفــرِ كــذا قــدْ قيَّــدوا — وأحســـنُوا إذ بيَّنـــوا مـــا أورَدُوا

فصلٌ

في الإمام الحقِّ بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

ثُــمَّ الإمــامُ الحــقُّ مَــن قــدْ بايعَــهْ — صــحْبُ الــنبيّ وكــذا مَــنْ تابعَــهْ
وقــد دعَــوْهُ كلُّهُــم مِــرارَا — خَليفــةَ الرســولُ واســتطارَا
ولم يكُــنْ قــال الــنبيُّ أصــلا — فُــلانٌ الخَــالِفُ بَعــدي فصــلًا
لكنَّــهُ كــانَ إذا مــا جُهِــدَا — اســتخلَفَ الصــديقَ مِصــباحَ الهُــدى

فصلٌ

واشــتهَرَتْ توليــةُ الصّــديقِ — لعُمــرَ المخصــوصِ بــالتَّحقيقِ
ففــتحَ الأمصــارَ في خلافتِــهْ — وأنشــأَ الــديوانَ في ولايتِــهْ
وخصَّــهَا لســتّةٍ مــن بعــدِهِ — لفضــلِهِم وحزمِــهِ وزُهــدِهِ

فصلٌ

فبــايعَ الخمســةُ عُثمــانَ ولمْ — يحْــكِ أمــينٌ أنَّ عُثمــانَ ظلَــمْ
ولم يكُــنْ ذاكَ الكتــابُ أملَلَــهْ — فقاتَــلَ اللهُ لعينًــا قتلَــهْ
وهبْــكَ أنَّــه كمــا تُقُــوّلا — هــل يجــبُ القَتــلُ علــى مَــنْ أمْلــلا
ومَــن يقُــلْ إنَّ عليّــا مُــتّهَمْ — في قَتلــهِ ضــلَّ وأخطــأَ واجــترَمْ

لأنَّــــهُ قَــــد قــــامَ في نُصــــرَتِهِ وأنفَــــذَ الحســــينَ في نَجدتِــــهِ

فصلٌ

ثُــــمَّ علــــيٌّ بعــــدَهُ الإمــــامُ زَوجُ البتُــــولِ الفــــارسُ الهُمــــامُ

بَحــــرُ الحِجــــى وكاسِــــرُ الأصــــنامِ صِــــنْوُ الرســــولِ بطَــــلُ الإســــلامِ

وَلــــيٌ فكــــانَ عقــــدُهُ مسَــــتَدًّا لَّــــا غــــدَا بالفضــــلِ مســــتبدًّا

وإنَّمــــا نازَ عَــــهُ مُعاويــــةْ بشُــــبَهٍ عــــن الصــــوابِ نائيــــةْ

تــــأوَّلا بقــــاتلي عُثمانَــــا أخطــــأ فيــــهِ وادَّعــــى عُــــدوانَا

فصلٌ

في تقديم الصحابة بعضهم على بعض رضي الله عنهم

وأفضــــلُ الصــــحابةِ الصــــديقُ ثُــــمَّ يليــــهِ عُمــــرُ الفــــاروقُ

ثُمَّــــتَ عثمــــانُ شــــهيدُ الــــدَّارِ ثُــــمَّ علــــيٌّ قاتــــلُ الكفــــارِ

وطلحــــةٌ ثــــم الــــزبيرُ بعــــدَهْ وعاشــــرُ الصَّــــحبِ أبــــو عبيــــدةْ

ثُمَّــــتْ مــــنْ بعــــدِ الــــزُّبيرِ ســــعدُ ثــــمَّ ســــعيدٌ وابــــنُ عــــوفِ بعــــدُ

ولــــيسَ ذا التفضــــيلُ عَــــن يَقــــينِ قُلنــــاهُ بَــــل بــــالظنّ والــــتَّخمينِ

واعلــــمْ بــــأنَّ هــــؤلاءِ العشــــرةْ مُبــــايعو الــــنبيّ تحــــتَ الشَّــــجرةْ

وســــائرُ الصــــحابةِ الأبــــرارِ أولــــي النُّهــــى والعلــــمِ والوقــــارِ

نُقِــــرُّ بالفضــــلِ لهُــــم ونشــــهَدُ إذ قــــالَ ذا نبيُّنــــا محمَّــــدُ

وهكـــــذا نـــــثني علــــى نســـائِهِ إذ ســـــبُّهُم يُخـــرِجُ عـــن وَلائِــــهِ
وقـــد أتـــى في سُـــورةِ الأحـــزابِ فضْــــــلُهُمُ في أبـــــينِ الخِطــــــابِ

فصلٌ

ونــــذكُرُ الآنَ مــــنَ الإمامَـــــةْ فصـــلًا ونُنهيهـــا علـــى اســـتقامةْ
جَريًـــا علـــى عـــادةِ مَـــن تقـــدَّمَا إن وفَّـــــقَ اللهُ لــــــهُ وأنعَمَـــــا

فصلٌ

العـــــادِلُ السَّـــويُّ في الصـــــفاتِ الســـالِمُ الـــذاتِ مـــنَ الآفـــاتِ
القُرَشـــــيُّ المســـــلمُ الأريــــبُ البـــــالغُ المجتهـــــدُ اللبيــــبُ
هُـــوَ الإمـــامُ الواجـــبُ المُبايعَـــةْ والحـــقُّ في التقليـــدِ مَـــعْ مَـــنْ بايعَـــهْ
فهـــــذِهِ شــــــرائطُ الإمامـــــةْ ســـبعٌ تـــدبَّرْها تكُـــنْ علاَّمَـــةْ
وعنـــدَ بعـــضِ مَـــن إليـــهِ الأمـــرُ يكفـــي كـــذا نـــصَّ عليـــهِ الحَـــبرُ
أبـــو المعـــالي بطـــلُ التَّحقيـــقِ مُستشـــــهدًا ببَيْعَـــةِ الصّـــــديقِ
هـــــذا إذا اســـــتقلَّ في زمانـــــهِ وامتـــازَ بالشـــروطِ عـــن أقرانِـــهِ
أمَّـــا إذا لم يســـــتقلَّ وحـــــدَهُ فهْـــيَ لِمـــنْ يحُـــلُّ مـــنهُم عقـــدَهُ
فـــإنْ ولِـــيْ وجـــارَ في رَعِيّتِـــهْ وخيـــفَ بعـــدَ عَزلِـــهِ مِـــنْ فتنتِـــهْ
امتنـــعَ العـــزلُ لخـــوفِ الضَّـــرَرِ إذ عزلُـــهُ يُـــوقعُهُم في غَـــرَرِ
ثـــمَّ اللبيـــبُ لا يهُـــدُّ مصـــرَا مُســـتوطِنًا فيـــهِ ليَـــبني قَصـــرَا

وليســـــأَلِ النــــاسُ الإلــــهَ سِـــــرًّا   إصــــــلاحَهُ أو أن يُــــــزالَ قَهـــــرَا

وحُكـــــمُ مَـــــن قــــد عُقــــدَتْ بيعتُــــهُ   ولـــــيسَ أهــــلاً كَالــــذي قدَّمتُــــهُ